اسئلة وملاحظات سريعة حول الاحداث الدامية الاخيرة

بقلم : هيثم كمال

لقد طرحت الاحداث الاخيرة ، على كافة الوطنيين في لبنان اسئلة عدة ، فاقت هذه المرة كافة الاسئلة المطروحة في السابق . اول هذه الاسئلة واعقدها هو : كيف يمكن مواجهة احتمالات الجولة المقبلة التي تجاهر القوى الرجعية والانعزالية بالتحضير العملي والمدروس لها ؟؟.. خاصة وقد تكشف وجه هذه القوى عن شراسة ، فاجأت الكثيرين بهمجيتها وسعارها .

ان الاجوبة على هذا السؤال متشعبة وكثيرة . ولكن المؤكد ان اكثر الاجوبة دقة في هذا الصدد ، هو القائم على اساس اعتبار الرد المطلوب على مخططات غلاة الرجعية والانعزالية يجب ان يتميز هذه المرة بالعمل على محورين رئيسيين :

● المحور الاول :

ابقاء الشارع الوطني في حالة تأهب وحذر ويقظة ، مع التشديد على رفع مستوى اعداده وكفايته النضالية والسياسية .

● والمحور الثاني :

هو ضرورة التشديد على المضامين الطبقية للصراع الراهن ، خشية الوقوع او الانجرار ـ كما حدث بشكل او بآخر في التجربة الاخيرة ـ الى شرك الاقتتال الطائفي البغيض والصراع التقليدي .

ان اي استخفاف او تهاون بهذا الخصوص سوف تدفع ثمنه الجماهير الوطنية والشعبية في اية مواجهة مقبلة محتملة .

المعركة الراهنة معركة طبقية اولا وقبل كل شيء :

لقد بدا واضحا ان المعركة المحتدمة الآن في لبنان ، هي معركة الجماهير الشعبية الوطنية والديموقراطية ضد القوى الرجعية الفاشية والانعزالية المسيطرة . ومن هنا فهي ليست معركة مسلمين ضد مسيحيين . فمهما تداخلت او تشابكت بعض الالوان في طابع المواجهة القائمة فان الصيغة الحقيقية لجوهر الصراع ، هي صيغة الصراع الطبقي بين القوى الاجتماعية المتناقضة جذريا في الاساس.

ان عددا من الصور التي تكشفت عنها الاحداث الاخيرة ترينا ان المعركة كانت معركة الاغنياء ضد الفقراء . معركة الزعامات التقليدية المتعفنة ضد الحركة الوطنية الشعبية المتنامية . (بغض النظر عن بعض الممارسات الفردية او بعض ردود الفعل الغريزية او الطائفية) .

ان شريط الاحداث الراعبة الدامية يؤكد هذه الحقيقة بدءا من المواقف المتراخية المتهافتة لعدد من الزعامات ـ الواجهات في بيروت والشمال مرورا بمواقف بعض المراجع والشخصيات غير الزمنية ، وانتهاء بوليمة المصالحة العشائرية بين اهل البيت الواحد فوق الجراح والضحايا والايتام والمشردين من فقراء المسلخ والكرنتينا والشياح والنبعة وسواها .

امثلة وتأكيدات طبقية :

وما المسلسل الذي نشهده اليوم من اعتقالات ومداهمات واستعدادات مسلحة الا جريان متواصل للمخططات التآمرية نحو مصبها الرئيسي وغايتها الكبرى ، اي ضرب المواقع المتنامية للحركة الشعبية وتشديد الخناق على المقاومة وتواجدها المسلح .

كل هذا يجري تحت سمع وبصر الحكومة الكرامية، ان لم نقل بمباركتها . والا فما معنى كل ما جرى منذ تشكيلها حتى اليوم من اعتقال ومداهمة ، واصدار بلاغات معينة خاصة بالجنوب ؟؟؟

وما معنى استمرار الكتائب وسائر القوى الرجعية الفاشية في فتح معسكرات تدريبها وتكثيف هذه المعسكرات تحت اكثر من اسم او يافطة ؟؟؟..

ثم ما معنى مد بعض الجهات المعروفة لهذه المعسكرات بما تحتاج من خبرة وسلاح وذخيرة ؟؟. كذلك ما هو مغزى عدم مبادرة رئيس الحكومة ، وزير الدفاع الى فسخ « عقد الشراكة » القائم بين هذه الجهات المعروفة وبين التشكيلات الانعزالية الفاشية المسلحة ؟..

واخيرا كيف نفهم جهود وزير الداخلية المنصبة على توجيه اوامر قمعية واقتحامية للاحياء المناضلة كالزيدانية ورمل الظريف وسواهما ، في الوقت الذي لم يتم فيه حتى الان اعتقال اي كتائبي ؟.

ان كل ما تقدم ليس سوى اشارات واضحة الى حقيقة واضحة ولكنها تحتاج الى بلورة وتعميق وهي ان المحتوى الجوهري للصراع هو محتوى طبقي اولا وقبل كل شيء . ومن هنا فان اي خرق او تمويه لهذه الحقيقة معناه الدوران اللاهث حول تفسيرات وهمية لحقائق الصراع القائم .

وليس موقف بعض الانظمة العربية وخاصة موقف النظام المصري والنظام السعودي في الاحداث الاخيرة الا تأكيدات اخرى في هذا الصدد .

معركة رئاسة الجمهورية والاحداث الدامية الاخيرة :

يجنح البعض نحو تفسير ما جرى ويجري في اطار معركة الاعداد لرئاسة الجمهورية ، وما يترتب عليها من « مزاحمة » وتعارضات بشأن التنافس على زعامة الطائفة المارونية وقيادتها . الا اننا نرى ان هنالك عددا من العوامل قد كان له بشكل او بآخر صلة بما حدث او يحدث .

وان كنا هنا نشير الى عدد من العوامل الرئيسية في الصراع غير انه يهمنا اولا ومنعا لاي التباس او سوء فهم ، ان نقرر بسرعة جدية التعارضات القائمة بين الزعامات المارونية واختلاف تطلعاتها وبرامجها وممارساتها . بدءا من جبهة « حراس الارزة » مرورا بممارسات بعض قياديي الرابطة المارونية وعدد من الرهبانيات ولا سيما « الرهبانية اللبنانية المارونية » التي يراسها الاباتي شربل قسيس ـ السوري الاصل واكثر المتحمسين لطرد « الاغراب » ـ وانتهاء بالكتائب والشمعونيين وسواهم .

غير ان هذه التعارضات على جديتها لا يمكن ان تكون قد ادت الى تفجير الاوضاع الدموية السابقة تحت شعار « اكثرنا اخلاصا للبنان اكثرنا استبسالا في ضرب المقاومة » .

صحيح ان التعبئة الحاقدة قد ادت الى ظهور ممارسات تنافسية دموية رهيبة بحق القوى الشعبية والعمال السوريين وسواهم من الفئات المسحوقة . الا ان ذلك لا يمكن فهمه بمعزل عن الخطط التآمرية الدؤوبة التي تهندسها الامبريالية الاميركية والصهيونية العالمية والرجعية المحلية لضرب وخنق كافة الحركات الوطنية التحررية وفي مقدمتها القوى اليسارية التي تتنامى بشكل متعاظم .

وعلى هذا الاساس يهمنا جدا ان نركز على الجانب العدائي المستحكم اصلا بين قطبي الصراع الاجتماعي المحلي والعربي . كما يهمنا ان نركز بصفة خاصة على الجانب التآمري الخبيث الذي يهدف الى ضرب المقاومة بوصفها جسما مسلحا يهدد بشكل او بآخر مشاريع التصفية للقضية العربية والفلسطينية وفق مصالح الامبرياليين والرجعيين المحليين .

ان التركيز على هذه الجوانب من شانه ان يوفر مفاتيح رئيسية للولوج الى عمق الصراع المحتدم .

ان اي قفز فوق مثل هذه الجوانب والاعتبارات يعني الاصرار على ملامسة اوهام وتخيلات هي نسيج فراغ في بنية التحليل المادي لما يجري .

اننا هنا كما سبق واكدنا لا نتعامى عن اعتبارات محلية كثيرة ولكننا نشير الى التجسيم المباشر لمباضع الاحداث الدامية وما تلاها .

عنف الاحداث اسقط افكار الحالمين

قبل سنوات وبالتحديد بعيد احداث الاردن مباشرة ، كانت بعض الاحداث الوطنية والتقدمية تنبه الى ان الجولة المقبلة ستكون على الارض اللبنانية . وانه تبعا لذلك يجب التدرب على حمل السلاح في وجه القوى الرجعية والعميلة المعادية .

الا ان اصواتا اخرى ـ وما اكثرها في وقتها ـ كانت تعتقد ان حمل السلاح والتدرب على استعماله واقتناءه امور « يغرزها » الافق البرجوازي الصغير العاشق للمغامرة وعرض العضلات . وبالتالي فان الحاجة الموضوعية لا تدعو الى ذلك . وكانت هذه الاصوات غالبا ما تستند في تحليلها تارة الى الطابع « الديموقراطي » للوضع اللبناني ، وتارة الى عجز النظام ذاتيا وموضوعيا عن التصدي للمقاومة باسلوب دموي بربري على غرار الاسلوب الاردني ـ بل كثيرا ما كان يعتقد البعض ، بان النظام اللبناني من الرخاوة بحيث انه على غير استعداد لان يضحي « بموسم اصطياف » واحد من اجل ضرب المقاومة.

ولكن هذا البناء التحليلي الحالم والمهذب في آن معا ، سرعان ما تهاوى في احداث ايار ١٩٧٣ . ودبت الصيحة في صفوف الجميع من اصحاب تلك الاصوات الى ضرورة التدرب على السلاح وحمله واقتنائه .

وبغض النظر عن افادة الجميع من احداث ايار الدامية ١٩٧٣ بنسب متفاوتة . الا ان المؤكد والمؤكد بصورة قاطعة ان معظم الاحزاب والقوى الوطنية اللبنانية ظلت تعتمد اعتمادا مباشرا على تدخل المقاومة لصالحها في اي صدام عسكري .

فكان البعض يرى في صورة الاحزاب والقوى اللبنانية جهاز عمل سياسي متمم لجهاز عمل عسكري قائم هو المقاومة ، وواضح تماما كم يلحق هذا الوهم من الاذى الشديد بالمقاومة والاحزاب الوطنية معا .

وهكذا جاء عنف الاحداث وهول شراستها ليضع حدا نهائيا لافكار الحالمين على وسادة النسج الاسطوري للواقع . ولينبه سائر القوى الى عدة مسائل جوهرية يأتي في راسها الاستعداد باعلى درجات اليقظة والثبات لما يحضره المتآمرون الفاشيون من جولات دامية جديدة ، كذلك العمل بشكل متلاحم للوقوف في وجه المؤامرة المستمرة بشتى وسائل النضال الممكنة .

●●

تعليق

على خطى كفرشوبا !

لقد سبق وقيل الكثير عن كفرشوبا ، صمودها ، استبسال اهلها والمقاومة ، والدفاع البطولي عن الارض الطيبة . فهناك وقفت الجماهير الوطنية المسلحة والمقاومة الفلسطينية ، وهزموا الغزاة الفاشيين ، مرة ومرتين ... واستمرت الثورة ، واستمرت البندقية المقاتلة . وازدادت ثقة الجماهير بنفسها ، وسجلت بالملموس: ان مزارعين فقراء يستطيعون باسلحة خفيفة بدائية ، انزال هزيمة بقوات فاشية متفوقة بالمعدات العسكرية !

... وايضا في الشياح ... وقليل هو الفرق بين كفرشوبا والشياح .. فهنا كانت المواجهة بين فقراء لبنان من كل المناطق والمتخمين الذين يمصون دماء الشعب وكدحه ويعيشون على استغلاله .

كانت حربا بين الفقراء والاغنياء . تاكد للفقراء ، ان السلاح يجب ان يبقى جاهزا للاستعمال ، والايدي على المقابض ، والاصابع على الزناد، لان عنف الرجعيين لا يوقفه ويهزمه الا عنف الجماهير الثوري المنظم .

ففي الشياح ، انهزمت القوى الطائفية الانعزالية الفاشية ، وانتصرت ارادة الفقراء !

... وتابعت كفركلا المشوار ، ومشت على نفس الطريق .

المقاومة الشعبية المسلحة، اوقعت بالعدو الصهيوني خسائر فادحة في الارواح . ولم تكن اقل عطاء من كفرشوبا والشياح ، ولم تكن اقل تضحية ، فقد اضافت كفركلا شيئا جديدا لمعاني التصدي والبطولة .

... وتستمر الثورة ، وتهتف الجماهير ، كفرشوبا ، الشياح ، كفركلا ، فمن يدري قد يغدو كل الجنوب كفرشوبا... ومن الضروري ان يغدو كذلك .

« سمير صعب »